

التبيان في تفسير القرآن

(452) لا يسألکم أجرا) * أي لا يطلب الاجر والجزاء والمكافأة على ما يدعوكم اليه ويحثكم عليه، وإنما يدعوكم نصيحة لكم * (وهم) * مع ذلك * (مهتدون) * إلى طريق الحق سالكون سبيله. ثم قال لهم الذي وعظهم وحثهم على طاعة الله * (ومالي لا أعبد الذي فطرني) * ومعناه ولم لا أعبداً * واتبع رسله، ومالي لا أعبد الذي فطرني، ومعناه ولم لا أعبداً الذي خلقتني وابتداني وهداني * (واليه ترجعون) * أي الذي تردون اليه يوم القيامة حيث لا يملك الامر والنهي غيره. ثم قال لهم منكرًا على قومه عبادتهم غير الله * (أأخذ) * أنا على قولكم * (من دون الله) * الذي فطرني وأنعم علي * (آلهة) * اعبدتهم؟ ! فهذه همزة الاستفهام والمراد بها الإنكار، لانه لا جواب لها على أصلهم إلا ما هو منكر في العقول ثم قال * (إن يردني الرحمن بضر) * معناه ان أراد الله إهلاكنا والاضرار بي لا ينفعني شفاعة هذه الآلهة شيئاً، ولا يقدرّون على انقاذي من ذلك الضرر. ولا يغنون عني شيئاً في هذا الباب. وإذا كانوا بهذه الصفة كيف يستحقون العبادة؟ ! ثم قال * (إني إذا لفي ضلال مبين) * أي إذا لو فعلت ما تفعلونه وتدعون اليه من عبادة غير الله أكن في عدول عن الحق. والوجه في هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا من أنعم بأصول النعم ويفعل من التفضل ما لا يوازيه نعم منعم، فإذا كانت هذه الاصنام لا يصح فيها ذلك كيف تستحق العبادة؟ ! ثم قال مخبراً عن نفسه مخاطباً لقومه * (إني آمنت) * أي صدقت * (بربكم) * الذي خلقكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود * (فاسمعون) * مني هذا القول. وقيل: انه خاطب الرسل بهذا القول ليشهدوا له بذلك عند الله. وقال ابن مسعود: إن قومه لما سمعوا منه هذا القول وطؤوه بأرجلهم حتى مات. وقال